أدب الأطفال بين فكر الأدباء وحاجات الأطفال

إعداد د/ إيناس سعيد عبد الحميد[1]

متى يكون لكل مرحلة من مراحل الطفولة أدب الأطفال الخاص بها؟

أدب الأطفال في احدى معانيه هو الأدب الموجه للأطفال وعلى ذلك فالكبار هم الذين يصنعون أدب الأطفال لكن الأطفال هم الذين يكتبون له الخلود.

بتتبع أدب الأطفال نجد أنه كمضمون قديم قدم قدرة الانسان على التغيير حيث كان وسيلة الأم لاسكات الطفل الجائع حتى يعود الأب بما يسد الرمق، وفي ذات الوقت فهو حديث حداثة القصة والأغنية التى تسمع اليوم في برامج الأطفال بالاذاعة المسموعة والمرئية أو تلقى حوارا بين الممثلين على خشبة مسرح الطفل أو كما يراها الأطفال صورا متحركة في أفلام الرسوم المتحركة، أو تكتب في مجلة أو كتاب أو قصة أو تخرج من أفواه المعلمين والمعلمات أثناء تقديم الأنشطة المختلفة للأطفال.

يؤلف أدب الأطفال دعامة رئيسية في تكوين شخصيات الأطفال عن طريق اسهامه في نموهم العقلى والنفسى والاجتماعى واللغوى وتطوير مداركهم واغناء حياتهم بالثقافة التى نسميها ثقافة الطفل، وتوسيع نظرتهم الى الحياة وارهاف احساساتهم واطلاق خيالاتهم.

فعن طريق أدب الأطفال يمكن أن ينمو الطفل ويتطور من حالة التمركز حول ذاته الى كائن اجتماعى يتفاعل مع الآخرين، ومن ثم يكون أدب الأطفال قد أسهم في تشكيل الطفل اجتماعيا.

من هذا المنطلق فأدب الأطفال ليس أداة- بحد ذاته- لفائدة الطفل بقدر ما هو أداة للنهوض به وبالمجتمع كله. فأدب الأطفال وسيلة من وسائل حياة الطفل التى هي أساس حياة المجتمع.

وبالرغم من هذه الأهمية التى يحتلها أدب الأطفال في بناء وتشكيل الأطفال الا أن ما يقدم لهم ما زال يفتقد القدرة على اشباع حاجاتهم. ولهذا يمكن القول أنه مع أننا كآباء وأدباء نحمل للأطفال محبة وحنانا لا حدود لهما ونسعى الى وصفهم بأجمل وأرق الصفات الا أننا لم نلب حاجاتهم من خلال الأدب المقدم لهم.

(1) مدرس تربية الطفل - كلية التربية - جامعة المنوفية.

ربما لا يعود ذلك الى تلكؤ منا بقدر ما يعود الى جهلنا ـ عدم وعينا ـ بكثير من تلك الحاجات خاصة تلك التى تتعلق بالجوانب النفسية والاجتماعية، يرافق ذلك جهل بأساليب اشباع تلك الحاجات.

في ذات الوقت استقرت اللآراء على ضرورة توافق الأدب المقدم للطفل مع مستوى النمو وحاجاته وهنا تتضح المشكلة. فكما تشير الآراء أن المشكلة التربوية تنحصر هنا في ايجاد المعارف الملائمة لكل مرحلة من مراحل الطفولة وفي تقديمها بصورة قابلة للتمثيل من قبل الأطفال المتلقين.

لا أظن أن هذه مشكلة حقيقية بعد التقدم الهائل الذى توصل اليه علماء نفس الطفل من التعرف الدقيق على خصائص وحاجات الأطفال في كل مرحلة من مراحل الطفولة.

الأطفال لا يشكلون جمهورا متجانسا في ميوله وعواطفه ورغباته وحاجاته ودوافعه، اذ يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو ويغلب على كل مرحلة خصائص معينة تحدد كثيرا من مؤشرات أدب الأطفال التى ينبغى أن يضعها الأديب في اعتباره عند التفكير فيما يقدم للأطفال من ألوان أدبية. اذ لابد أن يتفق ما يقدم للأطفال من ألوان أدبية ـ شكلا ومضمونا وأسلوبا ـ في كل مرحلة مع خصائص الأطفال في كل مجال من مجالات النمو.

لكن ايجاد التوافق التام بين ما يقدم للأطفال وبين خصائص مراحل الطفولة واحتياجاتها يكاد يكون عسيرا الى حد كبير بسبب تداخل مراحل النمو واختلاف الآراء بشأن تحديدها ولما بين الأطفال من فروق فردية، فضلا على أن الأجهزة التى تتولى تقديم هذا الأدب لجمهور الأطفال لا تستطيع أن تضمن وصول مضمون معين للطفولة المبكرة وحدها دون أن يستقبلها أطفال الطفولة المتأخرة والعكس.

وفي هذا الصدد يشير "ونيفريد وارد" في كتابه عن مسرح الأطفال الى أن تفاوت السن بين الأطفال المتفرجين في مسرح الأطفال ـ مثلا ـ يسبب أعظم المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات فما يقبله الأطفال في سن الخامسة يبدو تافها بالنسبة للأطفال في سن الحادية عشرة وما يهز مشاعر هؤلاء يثير فزع أطفال الخامسة واختيار مسرحية تناسب الجميع يتطلب تعديل صعب في النص والاخراج.

من هذا المنطلق على كتاب أدب الأطفال أن يخترقوا عالم الأطفال ويتعمقوا في احساساتهم ومشاعرهم وعواطفهم وحاجاتهم وميولهم وما يمكن أن تكون عليه شخصياتهم من توجهات، وذلك للمواءمة بين ما يقدم ومن يتلقى.

والكاتب حينذ محكوم بهذا العالم ولهذا ينبغى أن يكون هو أولا متمثلا عالم الأطفال وملما بحاجاتهم، وصادقا في كل ما يصدر عنه من أفكار تتناسب وحاجاتهم، وبسيطا حتى تتحقق العفوية والتلقائية التى تميز أطفال هذا العالم الذى لا يتحرك بقدر ما ينطلق في حرية.

كذلك على الكاتب وهو يبدع عالما من الأدب للأطفال ألا يعيش طفولته فحسب وانما يعيش طفولة الأطفال اليوم أيضا ويجوب في كنوز تلك الطفولة وأن يتصور النماذج أو الشخصيات أو الأفكار والمواقف التى يتخيلها حقيقة تعيش بشكل أو بآخر في عالم الطفل .

والجدير بالذكر أن التعبير عن هذا العالم هو في حقيقة الأمر تلبية لكل ما يرغب فيه الطفل ومن ثم يتمكن الكاتب من توصيل رسالته وفي ذات الوقت يشبع حاجات الأطفال ويراعيها .

وبذلك يمكن من خلال أدب الأطفال أن نجسد أحلام الأطفال ونجعلهم يعيشون أحلامهم بالكشف عن حاجاتهم وقدراتهم وميولهم .

المراجع المستخدمة:

- **عبد الرءوف أبو السعد** : الطفل وعالمه الأدبى ، دار المعارف ، القاهرة ، 1994 .
- **علي الحديدي** : فى أدب الأطفال ، ط6 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1991 .
- **محمد السيد حلاوة** : مدخل الى أدب الأطفال (مدخل نفسى اجتماعى) ، مؤسسة حورس الدولية ، الأسكندرية ، 2001 .
- **هادي نعمان الهيتي** : أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986 .
- Kehily , M. , An introduction to child hood studies, Open university Press ,England , 2004 .